المذاهب السياسية الإسلامية دينية

٤٢ — وإنه يجب التنبيه إلى أن الخلاف السياسى، أو المذاهب السياسية قد ابتدأت سياسية تنزع منزعاً سياسياً ، ولكن طبيعة السياسة الإسلامية ذات صلة بالدين وهو قوامها ولبها ، ولذلك كانت المذاهب السياسية التى نشأت تحوم مبادئها حول الدين ، فتقترب منه أحياناً ، وتبتعد عنه أحياناً بتخريجات فيها انحرافات عن مبادئه . وأن المذاهب السياسية ذاتها فى اتجاهاتها تعرضت لبحوث أخرى تتعلق بأصول الدين حول الإيمان والاعتقاد ، فكان لها رأى قائم بذاته فى الاعتقاد والإيمان .

ولم تقف عند حد الاعتقاد بل تجاوزته إلى آراء فى الفروع ، فكان للمذاهب السياسية بحوث كاملة فى الفروع : إذ نجد أن المذهب السياسى معه آراء فى الاعتقاد ومذهب فقهى فى الفروع ، لعله أبقى أثراً فى التاريخ من « المذهب السياسى » .

« فالشيعة » لهم نحلتهم السياسية ، وهى تقترب أو تبتعد عن الدين ، ولهم منهاج فى دراسة العقائد ، قد قاربوا فيه بعض الفرق الاعتقادية أو اتحدوا معها كما سنبين ، وكذلك « الخوارج » ، لهم بجوار آرائهم السياسية آراء فى الاعتقاد والإيمان ، ولعل تفاعل هذين النوعين من الآراء هو الذى أوجد الفرقة فى شدتها وعنفها .

ومع هذين النوعين من التفكير كان الأثر الخصب فى الفقه، فقد أثر عن المعتنقين لهذه المذاهب السياسية فقه جيد مفيد يقترب فى كثير من الأحيان مع فقه المذاهب الأربعة وفقهاء الأمصار عامة ، فمن الباقية التى يرد وردها الدارسون لمذاهب الفقه الإسلامى «الفقه الجعفرى» و « الفقه الزيدى » وإمام المذهب الأول هو « الإمام جعفر الصادق » ابن « محمد الباقر » رضى الله عنهما ، وإمام المذهب الثانى عمه « زيد بن على زين العابدين » رضى الله عنهما .

وقد أثر عن مذهب الخوارج « فقه الإباضية » وهو فقه عميق دقيق يقارب فقه المذاهب الأربعة فى أكثر الأحوال ، وسنذكر ذلك عند الكلام فى المذاهب الفقهية إن شاء الله تعالى .

٤٣ — وبعد بيان هذا نتكلم فى المذاهب السياسية ، وهى فى أصولها ثلاثة : « الشيعة والخوارج » ، و « أهل السنة » أو « الفقهاء » ، و « المحدثون » .

الشيعة

التعريف الإجمالى بهم :

٤٤ — « الشيعة » أقدم المذاهب السياسية الإسلامية ، وقد ذكرنا أنهم ظهروا بمذهبهم فى آخر عصر « عثمان » رضى الله عنه ، ونما وترعرع فى عهد « على » رضى الله عنه ، إذ كان كلما اختلط بالناس ازدادوا إعجاباً بمواهبه ، وقوة دينه وعلمه فاستغل الدعاة ذلك الإعجاب ، وأخذوا ينشرون آراءهم فيه ، ما بين رأى فيه مغالاة ، ورأى فيه اعتدال .

ولما اشتدت المظالم على أولاد على فى عهد الأمويين ، وكثر نزول الأذى بهم ثارت دفائن المحبة لهم وهم ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى الناس فيهم شهداء الظلم فاتسع نطاق المذهب الشيعى ، وكثر أنصاره .

٤٥ — وقوام هذا المذهب هو ما ذكره « ابن خلدون » فى مقدمته :

« إن الإمامة ليست من مصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ، ويتعين القائم فيها بتعيينهم ، بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز لنبى إغفالها ، وتفويضها إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ، ويكون معصوماً عن الكبائر والصغائر » .

ويتفق « الشيعة » على أن « على بن أبى طالب » هو « الخليفة المختار » من النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه أفضل الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم .

ويرى أن من الصحابة من يرى رأى الشيعة فى تفضيله على كل الصحابة وقد ذكر « ابن أبى الحديد » الشيعى المعتدل أن من الصحابة الذين فضلوا عليا عن كل الصحابة « عمار بن ياسر » ، و « المقداد ابن الأسود » ، و « أبا ذر الغفارى » و « سلمان الفارسى » و « جابر بن عبد الله » و « أبى بن كعب » ، و « حذيفة » و « بريدة » و « أبا أيوب الأنصارى » و « سهل بن حنيف » و « عثمان بن حنيف » و « أبا الهيثم ابن التيهان » ، و « أبا الطفيل عامر بن وائلة » ، و « العباس بن عبد المطلب » وبنيه ،

و « بنى هاشم » كافة ، ويقول «ابن أبى الحديد » : و « ابن الزبير » كان من القائلين به فى بدء الأمر ، ثم رجع عنه ، كما يذكر أن بعض « بنى أمية » كانوا يرون هذا الرأى ومنهم « سعيد بن العاص » .

٤٦ — ولم يكن الشيعة على درجة واحدة ، بل كان منهم الذين غالوا فى تقدير على وبنيه ، ومنهم المعتدلون المقتصدون ، وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على كل الصحابة من غير تكفير أحد ، ومن غير أن يضعوه فى درجة التقديس التى يعلو بها على البشر ، ولقد قال « ابن أبى الحديد » فى المعتدلين منهم :

« وكان أصحابنا أصحاب النجاة والخلاص والفوز فى هذه المسألة لأنهم سلكوا طريقاً مقتصدة ، قالوا أنه أفضل الخلق فى الآخرة ، وأعلاهم منزلة فى الجنة ، وأفضل الخلق فى الدنيا ، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب ، وكل من عاداه أو أبغضه فإنه على لله سبحانه وتعالى ، وخلد فى النار مع الكفار والمنافقين ، إلا أن يكون ممن ثبتت توبته ، ومات على توليه وحبه ، فأما الأفاضل من المهاجرين الذين ولوا الإمامة قبله ، فلو أنكر إمامتهم وغضب عليهم وسخط فعلهم ، فضلا عن أن يشهر عليهم السيف أو يدعوهم إلى نفسه ، لقلنا أنهم من الهالكين كما لو غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حربك حربى ، وسلمك سلمى » وأنه قال : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » ، وقال له : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق » ، ولكنا رأيناه رضى إمامتهم وبايعهم ، وصلى خلفهم ، وأنكحهم وأكل فيهم ، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ولا نتجاوز ما اشتهر عنه ، ألا ترى أنه لما برىء من معاوية برئنا منه ، ولما لعنه لعناه ، ولما حكم بضلال أهل الشام ، ومن كان فيهم من بقايا الصحابة « كعمرو بن العاص » و « عبد الله » ابنه وغيرهما ، حكمنا أيضاً بضلالهم ، والحاصل أننا لم نجعل بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم إلا رتبة النبوة ، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه ، ولم نطعن فى أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم(١) .

الموطن الذى نشأوا فيه وزمان نشأتهم :

٤٧ — قامت الشيعة ظاهرة كما قلنا فى آخر عصر الخليفة الثالث « عثمان » وقد نمت

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد .

وترعرعت فى عهد على رضى الله عنه ، من غير أن يعمل على تنميتها ، ولكن مواهبه كما قلنا هى التى دعت إليه ، ولما قبضه الله تعالى إليه ، تكونت الفكرة الشيعية مذاهب ، منها ماكان فيه مغالاة ومنها ماكان فيه اعتدال كما نوهنا ، وهى فى كلتا حالتها قد اتسمت بالتعصب الشديد لآل البيت النبوى .

وقد كان العصر الأموى محرضاً على المغالاة فى تقدير على رضى الله عنه ، لأن معاوية سن سنة سيئة فى عهده وفى عهد ابنه ومن خلفه من الأمويين حتى عهد « عمر ابن عبد العزيز » ، وتلك السنة هى لعن إمام الهدى على بن أبى طالب رضى الله عنه عقب تمام الخطبة ، ولقد استنكر ذلك بقية الصحابة ونهوا معاوية وولاته عن ذلك ، حتى لقد كتبت « أم سلمة » زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه كتاباً تنهاه وتقول فيه « إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، ذلك أنكم تلعنون على بن أبى طالب ومن أحبه ، وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه » وفوق ذلك فإنه فى عهد يزيد قتل « الحسين بن على » الذى هو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة ؟ كما ورد فى الأثر — قتلة فاجرة وذهب دمه عبيطاً ، من غير أن ترعى حرمة دين . وأخذت بنات « الحسين » وبنات « على » سبايا إلى يزيد بن معاوية ، وهم بنات ابنة النبى صلى الله عليه وسلم ، والعترة النبوية الطاهرة .

رأى الناس ذلك ، ولم يستطيعوا تغييراً ولا تحويلا ، فكظموا غيظهم وكبتوا نفوسهم ، واشتد ألمهم ، فاندفعوا إلى المغالاة فى تقدير أولئك الذين غالى الأمويون فى إيذائهم ، وهكذا يدفع الكبت العقلى والنفسى دائماً ، فإنه يدفع إلى المبالغة فى التقدير ، إذ العطف والإشفاق يدفعان إلى الإكبار والتقدير .

٤٨ — والشيعة نشأت فى مصر ابتداء فى عهد « عثمان » إذ وجد الدعاة فيها أرضاً خصبة ، وعمت العراق ، واتخذته لها مستقراً ومقاما ، فإذا كانت « المدينة » و « مكة » وسائر « مدائن الحجاز » مهداً للسنة والحديث ، و « الشام » مهداً لنصراء الأمويين فقد كان العراق « مقاماً للشيعة » . .

ولماذا كان العراق مهد الشيعة ؟ . . لقد تضافرت عدة أسباب فجعلته كذلك ، « فعلى بن أبى طالب » أقام به مدة خلافته ، وفيه التقى بالناس ورأوا فيه ما أثار تقديرهم ، ولم يعلنوا الولاء بقلوبهم للأمويين قط ، فرماهم « معاوية » فى خلافته

« بزياد بن أبيه » فقضى على المعارضة أن تظهر ، ولكنه لم يقتلع جذورها من النفوس، ولما مضى « زياد » استمر ابنه على حكمه من بعده فى عهد « يزيدبن معاوية » وصار « العراق » أول المنتقضين على الأمويين حتى استقر الأمر « لبنى مروان » فى عهد « عبد الملك بن مروان » فرماهم « بالحجاج » فاشتد فى القمع ، وكلما اشتد قمعه اشتد « المذهب الشيعى » فى نفوس معتنقيه .

والعراق فوق ذلك ملتقى حضارات قديمة ، ففيه علوم (الفرس) وعلوم (الكلدان) وبقايا حضارات هذه الأمم ، وقد ضمت إلى هذا فلسفة اليونان ، وأفكار الهنود ، وقد امتزجت هذه الحضارات وتلك الأفكار فى (العراق) فكان المنبت الذى ينبت فيه أكثر الفرق الإسلامية : وخصوصاً ما يتصل فيها بالفلسفة ، ولذلك امتزجت بالشيعة آراء فلسفية كثيرة تتلاءم مع بيئة العراق الفكرية .

وفوق ذلك فإن العراق كان مهد الدراسات العلمية وفى أهله ذكاء ، وفيهم تعمق . وقال فيهم « ابن أبى الحديد » .

« ومما ينقدح لى فى الفرق بين هؤلاء القوم وبين العرب الذين حاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، أن هؤلاء من العراق ، وساكنى الكوفة ، وطينة العراق ما زالت تنبت أرباب الأهواء ، وأصحاب النحل العجيبة والمذاهب البديعة ، وأهل الإقليم أهل بصر وتدقيق ونظر وبحث عن الآراء والعقائد ، وشبه معترضى المذاهب ، وقد كان منهم أيام الأكاسرة مثل (مانى) و (ديصان) و (مزدك) وغيرهم ، وليست طينة الحجاز هذه الطينة ، ولا لأذهان أهل الحجاز هذه الأذهان .

ونرى من هذا أن العراق كان مزدحم الآراء والمعتقدات من قديم ، فكان لا بد أن تنشأ فيه المذاهب السياسية والمذاهب الاعتقادية فلا غرابة أن تنمو الأفكار الشيعية فى بيئته . .

أثر الفلسفة القديمة فى المذهب الشيعى :

٤٩ — لا شك أن الشيعة فرقة إسلامية إذا استبعدنا مثل (السبئية) الذين ألهوا « عليًّا » ونحوهم ، ولاشك أنها فى كل ما تقول تتعلق بنصوص قرآنية أو أحاديث منسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن مع ذلك اشتملت آراؤها على أفكار

فلسفية أرجعها علماء العراق والغرب إلى مصادرها من المذاهب الفلسفية والدينية السابقة على الإسلام ، والحضارة الفارسية التى انتهت بظهور الإسلام .

فبعض العلماء الأوربيين ، منهم الأستاذ « دوزى » يقررون أن أصل (المذهب الشيعى) نزعة فارسية ، إذ أن العرب تدين بالحرية ، والفرس يدينون بالملك وبالوراثة فى البيت المالك ، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة ، وقد انتقل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ولم يترك ولدا ، فأولى الناس بعده ابن عمه على بن أبى طالب ، فمن أخذ الخلافة كأبى بكر وعمر وعثمان ؛ فقد اغتصب الخلافة من مستحقها ، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس ، فنظروا هذا النظر نفسه إلى على وذريته ، وقالوا إن طاعة الإمام واجب ، وطاعته طاعة الله سبحانه وتعالى (١) .

ويقرر بعض العلماء الأوربيين أن « الشيعة » أخذت من اليهودية أكثر مما أخذت من الفارسية ، مستدلا بأن عبد الله بن سبأ ، أول من أظهر الدعوة إلى تقديس على كان يهودياً ، ويقرر هؤلاء أنه مع تلك الآثار اليهودية فى المذهب الشيعى فالمذهب الشيعى كان مباءة للعقائد الأسيوية القديمة كالبوذية وغيرها (٢) .

٥٠ — ولعل هذا القول الذى قرر أن هذا المذهب الشيعى استقى من اليهودية بعض مبادئه ، قد استفاده الأوربيون من أقوال « للشعبى » وكلام « لابن حزم الأندلسى » فقد كان « الشعبى » يقول عن « الشيعة » أنهم يهود هذه الأمة ، وقال « ابن حزم » فى الفصل :

سار هؤلاء الشيعة فى سبيل اليهود القائلين : إن إلياس عليه السلام ، وفنحاس ابن ألعازار بن هرون عليه السلام أحياء إلى اليوم ، وسلك هذا بعض الصوفية ، فزعموا أن « الخضر » و « إلياس » عليهما السلام حيان إلى الآن (٣) .

وفى الحق ، أنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة ،

---

(١) راجع فى ذلك فجر الإسلام للأستاذ المرحوم الدكتور أحمد أمين .
(٢) السيادة العربية .
(٣) الفصل ٤ ص٤ — س ١٨٠ .

والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك « الفارسى » واضح . ويزكى هذا أن أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة ؛ وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس .

وأما اليهودية فإذا كانت توافق بعض آرائهم ؛ فلأن الفلسفة الشيعية اقتبست من نواح مختلفة ، وكان المنزع فارسياً فى جملته وإن استندوا إلى أقوال إسلامية .

والشيعة الحاضرون وأكثر المعتدلين ينكرون أن يكون مثل عبد بن الله سبأ منهم ، لأنه ليس مسلماً فى نظرهم فضلا عن أن يكون شيعياً ، ونحن نوافقهم كل الموافقة .

فرق المذهب الشيعى :

٥١ — قلنا فى التعريف الإجمالى بالشيعة أنه يحمل اسم الشيعة ناس قد غالوا ، وناس قد اقتصدوا ، وناس بين هؤلاء وأولئك .

فالغلاة المتطرفون قد رفعوا « علياً » إلى مرتبة الألوهية ومنهم من رفعه إلى مرتبة النبوة ، وجعلوه فى منزلة أعلى من « النبى » صلى الله عليه وسلم ، ولنذكر بعض هؤلاء الغلاة الذين خرجوا بمغالاتهم عن الإسلام ، وينكر الشيعة الحاضرون نسبتهم إلى الشيعة ، ونحن ننكر نسبتهم إلى الإسلام . ومن هؤلاء :

السبئية :

٥٢ — وهم أتباع « عبد الله بن سبأ » ، وكان يهودياً من أهل « الحيرة » أظهر الإسلام ، وأمه أمة سوداء ، ولذلك يقال عنه « ابن السوداء » ، وقد أشرنا إلى أنه كان من أشد الدعاة ضد سيدنا « عثمان » وولاته .

تدرج فى نشر أفكاره ومفاسده بين المسلمين ؛ وموضوعها على بن أبى طالب رضى الله عنه — أخذ ينشر بين الناس أنه وجد فى « التوراة » أن لكل نبىٍّ وصيا ؛ وأن عليا وصى محمد ، وأنه خير الأوصياء ، كما أن محمداً خير الأنبياء ، ثم إن محمداً سيرجع إلى الحياة الدنيا ، ويقول : عجبت لمن يقول برجعة المسيح ، ولا يقول برجعة محمد . ثم تدرج بهذا الحكم بألوهية على رضى الله عنه ، ولقد هم على بقتله ، إذ بلغه عنه ذلك ، ولكن نهاه عبد الله بن عباس ، وقال له : إن قتلتـــه اختلف عليك أصحابك ، وأنت عازم على العودة لقتال أهل الشام . فنفاه إلى المدائن .

ولما قتل على رضى الله عنه استغل ابن سبأ محبة الناس له كرم الله وجهه وألمهم لفقده ، فأخذ ينشر حول موته الأكاذيب التى تجود بها قريحته إضلالا للناس وإفساداً لهم . فصار يذكر الناس أن المقتول لم يكن علياً وإنما كان شيطاناً تصور للناس فى صورته ، وأن عليا صعد إلى السماء، كما صعد إليها « ابن مريم » عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواهما قتل عيسى بن مريم ، كذلك كذبت الخوارج فى دعواها قتل على رضى الله عنه . وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى ، كذلك القائلون بقتل على رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه على ، وقد صعد إلى السماء ، وأن الرعد صوته ، والبرق تبسمه ، ومن سمع من السبئيين صوت الرعد يقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وقد روى عمر بن شرحبيل أن ابن سبأ قيل له: إن عليًّا قد قتل ، فقال : إن جئتمونا بدماغه فى صرة لم نصدق بموته ، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها (١) .

وإن من هؤلاء السبئية من كان يقول : إن الإله حل فيه وفى الأئمة من بعده ، وهو قول يوافق بعض الديانات القديمة التى كانت تقول بحلول الآلهة فى بعض البشر ، وأن روح الإله تتناوب الأئمة إماماً بعد إمام . كما كان يقول المصريون القدماء فى الفراعنة .

ومن السبئية أيضاً طائفة كانت تقول عن على: « إن الإله قد تجسد فيه » وقالوا له : « هو أنت الله » ؛ وقد هم بإحراق هؤلاء كما بينا فى صدر كلامنا عن « السبئية » .

الغرابية :

٣٥ — وهى فرقة من الغلاة ، وهذه الفرقة لم تؤله علياً ؛ كما فعل السبئية ولكنها كادت تفضله على النبى صلى الله عليه وسلم ، فزعموا أن الرسالة كانت لعلى رضى الله عنه ، ولكن جبريل أخطأ فنزل على محمد بدل أن ينزل على على رضى الله عنه ، وسموا « الغرابية » لأنهم قالوا أنه يشبه النبى صلى الله عليه وسلم كما يشبه الغراب الغراب .

---

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى .

وإن ذلك الكلام الهراء قد أدحضه العلماء ومنهم « ابن حزم » ، فى كتابه « الفصل » وفى الواقع أن هذا الكلام جهل بالتاريخ ، وجهل بالحقائق ، فعلى عند البعث المحمدى كان غلاما ، وما كان فى سن يتحمل فيها الرسالة ، بل كان فى التاسعة ، وهى ليست سن التكليف ، فضلا عن أن تكون سن التبليغ ، وأما كون هذا الكلام يتضمن جهلا بالوقائع ، فلأن « عليا » فى رجولته لم يكن مشابهاً للنبى صلى الله عليه وسلم فى جسمه ، بل كان لكل منهما كيان جسمى خاص على ما هو مدون فى الصفة الجسمية لكل واحد منهما .

وعلى فرض أن التشابه الجسمى كان بينهما كاملا بعد أن استوى كل منهما رجلا ، فإنه من المؤكد أن ذلك التشابه حديث خرافة وقت البعث المحمدى ، لأنه لا يمكن أن يكون التشابه ثابتاً بين غلام فى التاسعة ، ورجل مكتمل فى الأربعين ، فكيف يخطىء « جبريل » بين رجل وغلام ، وكيف يكون التشابه بينهما بالقدر الذى يشبه به الغراب الغراب .

فرق خارجة عن الشيعة :

٥٤ — هذه الفرق وأشباهها من المنحرفين فى الاعتقاد لا يعدها الشيعة من بينهم ، ويقولون عنهم الغلاة ، ولا يعدون أكثر هؤلاء من أهل القبلة ، فضلا عن أن يكونوا منهم ، ولذلك نقول : إن هذه الفرق حملت اسم الشيعة فى التاريخ الإسلامى ، وحمل كثيرون من الكتاب الشيعة أوزارهم ، وهم يتبرءون منهم كل التبرؤ . وعلى أى حال فليس لهذه الفرق التى خرجت عن الإسلام وجود ظاهر بين الشيعة الآن ، فليس فيهم من يظهر أمام الناس تأليه الأئمة . كما ليس فيهم من يدعون أمام الناس خطأ « جبريل » فى الرسالة .

الكيسانية :

٥٥ — هم أتباع « المختار بن عبيد الثقفى » وقد كان خارجياً ، ثم صار من «الشيعة» الذين يناصرون (عليا) ، وسميت « الكيسانية » نسبة إلى كيسان ، قيل إنه اسم المختار وقيل إنه مولى لعلى بن أبى طالب أو تلميذ لابنه « محمد بن الحنفية » .

وقد قدم « المختار » إلى « الكوفة » حين قدم إليها « مسلم بن عقيل » من قبل

« الحسين بن علي » رضي الله عنهما ، ليتعرف أحوال « العراق » ومقدار ما عند أهله من نصرة للحسين ابن بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما علم « عبيد الله بن زياد » أمير الكوفة بوجود « المختار » قبض عليه وحبسه وضربه ، واستمر في محبسه إلى أن قتل الشهيد أبو الشهداء الحسين رضي الله عنه ، فشفع له زوج أخته « عبد الله بن عمر » لدى (ابن زياد) فأطلق سراحه ، على أن يخرج من الكوفة ، فخرج إلى الحجاز ، وقد روى عنه أنه قال في أثناء مسيره :

سأطالب بدم الشهيد المظلوم المقتول سيد المسلمين ، وابن سيد المسلمين الحسين بن علي ، فوربك لأقتلن بقتله عدة من قتل على دم يحيى بن زكريا ، ثم لحق بابن الزبير ، وكان هذا يستعد للاستيلاء على الحجاز وما والاه من بلاد الإسلام ، وبايعه على أن يوليه بعض أعماله إذا ظهر ، وقاتل معه أهل الشام ، ثم رجع إلى الكوفة بعد موت يزيد وتفرق أمر المسلمين ؛ وفي هذه العودة ادعى أنه جاء إليها من قبل محمد بن الحنفية أخي الحسين وولي دمه ليثأر من قتلة الشهيد ، وسمى محمد بن الحنفية المهدي الوصي ، وقال للناس :

« لقد بعثني المهدي الوصي ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً . وأمرني بقتل الملحدين ، والطلب بدم أهل بيته ، والدفع عن الضعفاء » .

وأخذ يدعو باسم محمد بن الحنفية لأنه ولي دم الحسين كما نوهنا ولأنه « كان ذا منزلة بين الناس ، قد امتلأت القلوب بمحبته وتقدير علمه وفضله ، فقد كان كثير العلم غزير المعرفة رواد الفكر مصيب النظر في العواقب ، قد أخبره أبوه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أخبار الملاحم » .

٥٦ — واستمر ينادي باسم هذا الإمام الجليل ، وأخذ ينشر أوهاماً بعد ذلك ، فأعلن ابن الحنفية البراءة من المختار على الملأ من الأمة ، وعلى مشهد من العامة عندما بلغته أوهامه وأكاذيبه ، وعرف خبيء نياته . ولكن مع تلك البراءة تبعه بعض أنصار العلويين لشدة رغبتهم في الانتقام لقتل الحسين رضي الله عنه . ولقد كان يسجع سجع الكهان ، ويدعي أنه يخبر عن المستقبل ، ومن سجعه قوله : (أما ورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه القفار ، والملائكة الأبرار ، لأقتلن كل جبار ، بكل لدن خطار ، ومهند بتار . . حتى إذا أقمت عمود الدين ، وزايلت شعب صدع

المسلمين، وشفيت صدور المؤمنين ، لم يكبر على زوال الدنيا . ولم أحفل بالموت إذا أتى».

٥٧ — أخذ المختار فى محاربة قتلة الحسين وأعداء العلويين وأكثر من القتل الذريع فيهم ، ولم يعلم أن أحداً اشترك فى قتل الحسين إلا قتله ، فحببه ذلك فى نفوس الناس ، وخصوصاً الشيعة فالتفوا حوله وأحاطوا به وقاتلوا معه ، حتى قتله مصعب ابن الزبير من قبل أخيه عبد الله .

٥٨ — (أ) وعقيدة الكيسانية لا تقوم على ألوهية الأئمة من آل البيت كما يقول السبئية ، بل تقوم على أساس أن الإمام شخص مقدس يبذلون له الطاعة ، ويثقون بعلمه ثقة مطلقة ، ويعتقدون فيه العصمة عن الخطأ ، لأنه رمز للعلم الإلهى .

(ب) ويدينون كالسبئية برجعة الإمام ، وهو فى نظرهم بعد على والحسن والحسين ، محمد بن الحنفية ، ويقول بعضهم إنه مات وسيرجع ، وبعضهم وهم الأكثرون يعتقدون أنه لم يمت ، بل هو حى بجبل رضوى عنده عسل وماء ، ومن هؤلاء ، كثير عزة إذ يقول :

ألا إن الأئمــة من قريش ... ولاة الحــق أربعة سواء
«على» والثلاثـــة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبــر ... وسبط غيبتـــه كــربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يتبعه اللــواء
تغيب لا يرى عنهم زمــانا ... برضوى عنده عسل وماء

(ج) ويعتقد «الكيسانية» بالبداء وهو أن الله سبحانه وتعالى يغير ما يريده تبعاً لتغير علمه ، وأنه يأمر بالشىء ثم يأمر بخلافه ، وقد قال «الشهرستانى» فى هذا : إنما صار «المختار» إلى اختيار القول بالبداء، لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال إما بوحى يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شىء وحدوث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلا على دعواه ، وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم ، وإن ذلك بلا شك ضلال مبين ، وفساد فى الاعتقاد .

(د) ويعتقدون أيضاً بتناسخ الأرواح ، وهو خروج الروح من جسد وحلولها فى جسد آخر ، وهذا الرأى مأخوذ من الفلسفة الهندية ، فهم الذين يقولون ذلك

القول : ويقولون إن الروح تعذب بانتقالها إلى حيوان أدنى ، وتثاب بانتقالها من حى إلى أعلى منه ، ولم يأخذوا بالمذهب كله ، ولكنهم أخذوا به فيما يتعلق بالأئمة فقط .

(٨) وكانوا يقولون « إن لكل شىء ظاهراً وباطناً ، وإن لكل شخص روحا ، ولكل تنزيل تأويلا . ولكل مثال فى هذا العالم حقيقة ، والمنتشر فى العالم من الحكم والأسرار مجتمع فى الشخص الإنسانى وهو العلم الذى آثر به على عليه السلام ابنه محمد ابن الحنفية ، وكل من اجتمع فيه هذا العلم هو الإمام حقا » (١) .

٥٩ — ونرى من هذا أنهم يقولون بالنسبة للرسول قولا ينافى معنى الرسالة ، وإن كانوا قرنوا تعصبهم لأبناء علىٍّ بما يقربهم من مرتبة النبوة ، ولم نجد فى كلامهم مايمس تنزيه الله تعالى ووصفه بغير ما يليق به إلا قولهم بالبداء ، ولكنهم قرنوا كلامهم فى الإسلام بآراء فلسفية كقولهم بالتناسخ ، وقولهم بأن الكل شىء ظاهراً وباطناً ، وقولهم بأن العالم بما فيه من الحكم والأسرار يلتقى فى شخص الإنسان ، وإن علم ذلك كان عند على كرم الله وجهه ، واختص به محمد بن الحنفية فورث ذلك عنه وحل فيه من بعده .

ولم يكن للكيسانية أتباع يذكرون فى الأقاليم الإسلامية .

الزيدية :

٦٠ — هذه الفرقة هى أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثر اعتدالا ، وهى لم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة ، بل لم ترفعهم إلى مرتبة تقاربها بل اعتبروهم كسائر الناس ، ولكنهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يكفروا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخصوصاً من بايعهم « على » رضى الله عنه ، واعترف بإمامتهم .

وإمام هذه الفرقة زيد بن على زين العابدين ، وقد خرج على هشام بن عبد الملك بالكوفة فقتل وصلب ، ويقول المسعودى فى سبب خروجه : كان زيد دخل على هشام ، فلما مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه ، فجلس حيث انتهى به

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى .